

الوظيفة المرجعية في أدب الأطفال

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة

The Referential Function in Children's Literature An Analysis of Ecolinguistic Characteristics
in the Stories *Sīrīnā* and *It's Only One Flower*

د. نجود الربيعي

جامعة دارلنا/ السويد

الإيميل: arn@du.se

تاريخ النشر: السادس الثاني 2025

تاريخ المراجعة: 2025/11/02

تاريخ الإيداع: 2025/07/20

يعتمد هذا البحث على قراءة قصتين مصورتين للأطفال وتحليلهما تحليلاً لغوياً بيئياً، هما قصة: سيرينيا، لشيخة الزبارة، (2022) وقصة: إنها زهرة واحدة، لهدى الشاعر، (2024). من خلال فحص مدى أدبية النصين وفقاً لمعادلة سعد مصلوح، ثم البحث عن الوظيفة اللغوية المهيمنة على النصين وفق نظرية وظائف اللغة لياكوبسون وربط ذلك بالأساليب البلاغية العربية، ومن ثم تطبيق الأسس النظرية التي افترضها الكاتب لورنس بيول في كتابه الخيال البيئي على الأفكار البيئية المتجسدة في النصين ومدى تلائم ذلك مع الوظيفة اللغوية. إذ أصبح النقد البيئي يشكل ميداناً حيويّاً خصباً في مجال الدراسات النقدية الحديثة، وبدأ يشهد حضوراً ملحوظاً في الدراسات الأدبية والنقدية. وساهمت الأفكار البيئية التي تهتم بالبيئة والحياة ومستقبل الكون في تشكيل موضوعات أساسية للنصوص الأدبية شعراً ونثراً، وبما أنّ أدب الأطفال هو جزء مهم من حقل الأدب العام فقد تأثر بالأفكار البيئية وتوسعت دائرة الموضوعات فيه لتتجسد في نماذج تركز ضمناً على تنمية هذا الوعي البيئي وحضوره الدائم في عقل الطفل القارئ. توصل البحث إلى أن مصطلح الأدبية ينطبق على النصين وأن الوظيفة المهيمنة عليهما هي الوظيفة المرجعية حسب ياكوبسون فضلاً عن غلبة الجمل الخبرية بلاغياً عليهما لتتناسب مع الدور اللغوي للوظيفة المهيمنة، وأيضاً حضور الوعي البيئي في القصتين والتنبيه على خطرين يهددان البيئة؛ الأول يهدد الكائنات البحرية والثاني يهدد وجود النحل.

الكلمات المفتاحية: النقد البيئي، النحل، بيول، الوظيفة المهيمنة، سيرينيا، المرجعية، زهرة.

Abstract This study undertakes a reading and ecolinguistic analysis of two children picture books: *Sīrīnā* by Shaykha Al-Ziyāra (2022) and *It's Only One Flower* by Hudā Al-Shā'ir (2014). The research examines the *literariness* of both texts according to Sa'd Maşlūḥ's model, then investigates the dominant linguistic function in the texts according to Jakobson's theory of language functions and its relationship to Arabic rhetorical methods. Subsequently, the study applies the theoretical foundations proposed by Lawrence Buell in his work *The Environmental Imagination* to the environmental ideas embodied in the two texts. It then examines the extent to which these ideas align with the linguistic function. Ecocriticism has emerged as a vital and fertile field within contemporary critical studies and has begun to establish a notable presence in literary and critical scholarship. Environmental ideas

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

concerned with the environment, life, and the future of the universe have contributed to shaping fundamental themes in literary Since children's literature constitutes an important part of the broader literary field, it has texts, both poetry and prose. been influenced by environmental ideas, and its thematic range has expanded to include works that implicitly foster environmental awareness in young readers. The research concludes that the term *literariness* applies to both texts and that the dominant function in them is the referential function according to Jakobson, in addition to the rhetorical predominance of declarative sentences, which corresponds to the linguistic role of the dominant function. The study also identifies the presence of environmental awareness in both stories, highlighting two environmental threats: one to marine creatures and another to existence of bees.

Keywords: ecocriticism, bees, Buell, dominant function, *Sīrīnā*, referential, flower.

1. مقدمة:

ارتبط وجود الإنسان بالبيئة التي عاش فيها وشكل علاقة معها، بل لا إمكانية لوجوده وحده من دون البيئة، ومن خلال هذا التعايش حقق الإنسان علاقة نفعية متبادلة مع البيئة وكل ما تحويه من عناصر حيّة وغير حيّة، وبعبارة أدق كان الإنسان ولا يزال جزءاً من البيئة وليس البيئة كلّها. وقد حفظت لنا بعض النقوش من الحضارات القديمة صوراً للعلاقة المثالية بين الإنسان وبيئته المتمثلة بالأرض والنهر والشجر والحيوان وأظهرت نقوشاً على ألواح قديمة من الحضارة السومرية والآشورية كيف شكّلت البيئة حضوراً في حياة الإنسان في الكتابات القديمة، فقد ورد ذكر الفلاح مع نشيد يمجّده على أساس أنه فلاح خاصة وأن مهنة الفلاحة ترتبط بحياة الإنسان وبضمن استمرارية حياته ووجوده، وذكر نصّان الأول على وجه اللوحة يحمل فكرة البذرة والنعجة التي تلد صغيراً وعلى ظهر اللوحة وجد نقش يتحدث عن صورة مثالية مأخوذة من الطبيعة تذكر مجرى ماء منعش وحقولاً زاهية وبحيرة فيها أسماك تتحرك ومزرعة القصب والغابة والعز والوعول¹. ويعطي النص المكتشف على اللوح صورة لغوية من الحضارة السومرية التي مرّ عليها آلاف السنين تركز على التفاعل الحيوي بين الإنسان وبيئته بما تحتويه من حيوان وماء ونبات في ذكر وإع لماء منعش نظيف وحقول مليئة بالحبوب في إشارة إلى بهجة الحياة بوجود كائنات حيّة تعيش معه وهي صورة نموذجية لحياة مشتركة سليمة بين الإنسان والبيئة .

1.1 الطبيعة في الأدب العربي القديم والحديث:

أُستُخدمت الطبيعة في الأدب العربي القديم والحديث بشكل كبير، وذكُرَتْ إحدى الدراسات أنّ العربي من الجزيرة كان عظيم التشبث ببيئته وأن الشاعر القديم كان يقصد الوصف الطبيعي لذاته لا تبعاً لغيره، ووصف الطبيعة الهادئة كما وصف التصوير المتحرّك للطبيعة المليء بالحركة والنشاط². وتأثر الشاعر العربي بتغير الحياة وظهور المدن والقصور وفعل الحضارة فوصف مفرداتها ك: الحدائق والأحواض والمتنزهات المقامة في المدن الكبرى³، في إشارة إلى إحساس بالمشاركة الحقيقية بين الإنسان والبيئة.

ولأقت الطبيعة حضوراً واسعاً عند شعراء المهجر الذين هاجروا من بلدانهم العربية ثم ضاقوا ذرعاً بحياة المدن فلاذوا إلى الطبيعة فجاء شعرهم حاملاً لصور شعرية صادقة دمجت بين الوصف والمشاعر والأحاسيس والشوق لقراهم وبيئاتهم القديمة، فاكسبت الطبيعة عندهم القدسية التي تولدت بسبب الغربة وطرحوا من خلالها أسئلة وجودية كثنائية الخير

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

والشر⁴. وتضمنت قصائدهم التي اتخذت من الطبيعة موضوعاً لها ألفاظ الطبيعة والبيئة، فكانت الغابة والفراشة والسماء والبحر والدودة والنجمة وغروب الشمس والربيع والحمامة والخريف والبدر والبحر والنحلة والحقول والشتاء والعصفور والشلال والأمواج... إلخ حاضرة في قصائدهم⁵.

لكن هذه العلاقة بين الإنسان وبيئته لم تستمر بشكلها المثالي بل بدأ يظهر نشاط عكسي للإنسان غلب عليه طابع الاستغلال غير المثالي للبيئة بكل مكوناتها فدق ناقوس الخطر وظهرت مصطلحات ترسم أنماط الأذى الذي سببه أو تسبب به الإنسان تجاه البيئة ومن هذه المصطلحات "التلوث البيئي" الذي عُرِف بأنه " الفساد الذي يصيب كافة مكونات البيئة فيؤثر فيها ويغير من صفاتها وخواصها، بما قد يؤدي إلى إتلافها أو هلاكها" ⁶، يفهم من التعريف السابق أن بعض مكونات البيئة قد تعرضت لفساد أدى إلى تغير صفاتها وخصائصها وتسبب في هلاك أجزاء منها وبما أن مكونات البيئة تنقسم على قسمين هما: المكونات الحيوية والمكونات اللاحيوية فتشمل الأرض والهواء والمياه وكل الكائنات الحية من نباتات وحيوانات بما فيها الإنسان⁷، فبدأ الإنسان يتحسس هذه المخاطر ودخل هذا الوعي إلى ميدان الأدب والنقد الأدبي فأصبح الأدب البيئي في نصوص حملت بشكل فني وبوعي أخلاقي رسائل بين ثناياها تشير إلى مخاطر بيئية تحيط بكوكبنا، وهذا أدى بدوره إلى تبلور مذهب نقدي سلط جهده على دراسة النصوص الأدبية -شعراً ونثراً- باحثاً في ثناياها عن ملامح واعية تؤثر إلى مخاطر بيئية تحيط بكوكبنا الذي يفترض أن نتشارك العيش فيه مع باقي الكائنات فكان النقد البيئي.

1.2 في أدب الطفل العربي

يعد أدب الطفل نوعاً من أنواع الأدب العام لكنه موجه للأطفال و" يتمتع الكبار والصغار على حد سواء، وقد شغل به أصحاب المواهب العملاقة على مدى مئات السنين، وهو يشمل الكلمات والصور ويدمجها معاً، (...) فهو يستغرق القارئ ويمتلكه ويمتلكه وتمتع متطلباته بالمباشرة والشمول والقوة"⁸. لخص التعريف السابق عناصر كثيرة يجب تواجدها في أدب الطفل فهو نوع من الكتابة الفنية ويمكن أن نفهم أنه من السهل الممتنع لأنه يحتاج إلى المباشرة والشمول والقوة فيبتعد عن السذاجة والسطحية وفي الوقت نفسه يجب أن يتضمن عناصر قوية وهذا لا يتحقق إلا بخبرة ودراسة من الكاتب والرسام لأن التعريف دمج بين الكلمات والصور، ويضيف كاتب آخر فكرة القصيدة والتعمد في المحتوى في تعريفه فيكون نوعاً من الكتابة القصيدة المتعمدة الموجهة للطفل⁹، ويضيف أيضاً أن أدب الطفل يتشابه مع أدب الكبار في جوانب عدة بسبب انتمائهما إلى جنس إنساني يستخدم الإبداع وسيلة للتعبير فكلاهما يمتلكان القدرة على التعبير لكن أدب الطفل يعبر خاصة عن عالم الطفل ومشكلاته ونظراته للحياة وما يريده من المجتمع وما يريده المجتمع منه ويساعد في نمو القدرات المعرفية والعقلية والنفسية للطفل بما يتضمنه من معارف وأساليب مخصوصة في الصياغة¹⁰. نفهم أن كليهما يحتاجان إلى اللغة والصياغة والصور المتخيلة مع إمكانية وجود الصورة المرسومة في أدب الطفل لتكون عاملاً مساعداً في فهم النص. تأتي قصة الطفل في مقدمة أنواع الكتابات الموجهة للأطفال و" تتخذ الكلمات فيها مواقع فنية في الغالب كما تتشكل فيها عناصر تزيد في قوة التجسيد من خلال خلق الشخصيات وتكوين الأجواء والمواقف والحوادث، وهي بها لا تعرض معاني وأفكاراً فحسب، بل تقود إلى إثارة عواطف وإنفعالات لدى الطفل إضافة إلى إثارتها العمليات العقلية المعرفية كالإدراك

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

والتخيل والتفكير¹¹، وشاع استخدام الحيوانات في قصص الأطفال وحقت هذه القصص انجذاباً للقارئ الطفل وقد صنف قصص الحيوان على ثلاثة أنواع: الأول القصص التي تقوم بها الحيوانات بما يقوم به الأطفال والكبار من أعمال وهدفها تعليم الطفل السلوكيات الجيدة في الحياة، والثاني هي القصص التي يقوم فيها الحيوان بعمله الحقيقي متناسب مع خصائصه كقيام الكلب بالحراسة والوفاء مثلاً، والنوع الثالث هو نوع من القصص يكون ظاهرها للتسلية وباطنها الحكمة أو النقد السياسي أو الاجتماعي وهو ما يهتم في هذا البحث فتقوم الحيوانات في هذه القصص بدور الإنسان مبرزة بعض الطرق والأساليب لحل مشكلاته في الحياة بطريقة غير مباشرة كما تعرض بعض الطرق لتجنب الوقوع في الأخطاء¹². من خلال ما تقدّم تمّ اختيار عيّنتين من قصص الأطفال جاءت شخصياتها بالكامل من الحيوانات بل ومن الحيوانات المتضررة والمهددة بالانقراض كما في بقرة البحر والنحل.

1.3 في النقد البيئي

يستخدم النقد الأدبي آليات مختلفة في دراسة النصوص الأدبية لغرض كشف خبايا النصوص وفق نظرية تتحدد بمجموعة من الإجراءات، ومن هذه النظريات النقدية نظرية النقد البيئي. يعدّ النقد البيئي من المصطلحات الحديثة وقد تعددت التسميات التي تشير له مثل: النقد البيئي أو الإيكولوجي أو الدراسات الثقافية الخضر¹³، وينظر هذا النقد "إلى النص الأدبي من خلال معايير بيئية فقط تهتم بكيفية تمثيل العالم الطبيعي داخل النص وبقدرة النص على مجابهة الاعتداء على البيئة"¹⁴، وهو يهتم بالكشف عن الأفكار البيئية الموجودة في النص الأدبي التي تجعل له علاقة بالبيئة أو بكيفية تمثيل علاقات الإنسان من خلال أفعاله ببيئته المادية في الأدب¹⁵. وهو بذلك يهدف إلى إثارة وعي القارئ بالدور الذي تلعبه الطبيعة بوصفها وجوداً مادياً، والبيئة باعتبارها الفضاء المحيط بالإنسان وكيفية تلمس ذلك في النصوص الأدبية من خلال الصور الموحية سواء تلك التي تصوّر جمال الطبيعة والحياة الرعوية أو على العكس تلك التي ترسم مشاهد الكوارث الطبيعية، أو تلك التي تنتبّه سيناريوهات مرعبة بحيث تُشعر القارئ أنه موصول فعلاً بالمكان وبالعناصر التي تكوّنه¹⁶.

عرفَ النقدُ البيئي اتجاهين رئيسيين هما الاتجاه الأمريكي والاتجاه البريطاني وعلى الرغم من اهتمام الموجتين الواعي بالبيئة، إلا أن الدارس الأمريكي أولى اهتماماً بالطبيعة في حين عكست الدراسات لدى الدارس البريطاني التهديدات التي تطال الطبيعة¹⁷، وعلى هذا عالجت كتابات الدارس الأمريكي القيمة التعبيرية للطبيعة البرية والرابطة الشديدة مع المنظر الطبيعي، في حين ركّز الدارس البريطاني على الهاجس التهديدي الذي يطال البيئة¹⁸.

يستنتج مما سبق أن النقد البيئي يهدف إلى قراءة بيئية واعية للنصوص الأدبية وتلمّس مواطن الوعي البيئي المتجسّد بالأساليب اللغوية أو الأسلوبية أو بطريقة السرد أو بالصور المصاحبة، كما في قصص الأطفال، أي أن البيئة تكون حاضرة ليست لأنها مكان التواجد، بل هي حاضرة بوعي مقصود ورؤية بيئية من الكاتب.

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

2.1 سؤال البحث وسبب الاختيار:

يطرح البحث سؤالاً عن مدى إمكانية حضور الوعي البيئي في لغة قصص الأطفال العربية التي تناقش موضوعات أقرب إلى العلمية، وما دور الوظيفة اللغوية المهيمنة على النص في ذلك؟ مع خلال تطبيق ما سبق على قصتين موجّهتين لفئتين عمريتين متقاربتين (للأطفال بين الخامسة والثامنة).

2.2 منهج البحث:

سأقوم بتطبيق نظرية سعد مصلوح في فحص أدبية النصوص من علميتها، وبعدها سأقوم بجرد الجمل الخبرية والإنشائية واستخراج النسبة المئوية للنمط الغالب وربط ذلك بالوظيفة التي تناسبها حسب نظرية وظائف اللغة لرومان ياكوبسون مع البحث عن الضمير المستخدم ومدى ملائمته للنظرية، وبعد الانتهاء من ذلك سأقوم بفحص النصين المختارين وفق المبادئ التي وضعها لورانس بيول كأساس للنص الأدبي البيئي.

3. ملخص القصتين المختارتين:

دارت القصتان على ألسنة الحيوانات ولم تكن شخصيات البشر-ظاهرياً- مشتركة في شخصيات النصين.

3.1 قصة: حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا:

تحدث عن بقرة البحر التي تستعد للاحتفال بيوم البيئة ويأتي الكلام على لسان الحيوانات نفسها لكن سيرينيا (بقرة البحر) تذكر أنها لا تملك زياً تنكرياً مثل صديقاتها فحاولت الذهاب مع أمها للشراء لكن المحل مغلق، وتتصاعد الأحداث لتصل سيرينيا إلى حلّ بعد أن وجدت أكياساً بلاستيكية تطفو فوق سطح البحر وقرّرت أن تعمل فستاناً تنكرياً متميزاً منها بعد أن زينته ببقايا من النفايات المرمية في البحر، لكنه كاد أن يخنقها بعد أن التفّ حولها وبدأت الصراخ لطلب النجدة مما استدعى قدوم فرق الإنقاذ لمساعدتها.

3.2 قصة: إنها زهرة واحدة:

تحدث عن بيئة مثالية في فصل الربيع حيث الأزهار والعصافير والفرشات والشمس الدافئة وعمل النحلات الدؤوب في صناعة العسل بعد أن تجمع الرحيق من الأزهار الكثيرة وتعطي العسل للحيوانات كلّ يوم. لكن الأمر تغير وانتهى العسل بسبب اختفاء الأزهار من الغابة. وضعت الحيوانات مهمة الحراسة والمراقبة على الكلب لمعرفة أين تذهب الأزهار، فرأى الكلب أن الأرنب قد قطف زهرة ثم الثعلب فالغزال وعندما كان يسألهم كانوا يرددون جملة واحدة: إنها زهرة واحدة ولن تضر شيئاً. أصدر بعدها ملك الغابة قراراً يمنع قطف الأزهار وفرض عقوبة على من يخالف، وبعد فترة عادت الأزهار تملأ الغابة وعادت النحلات لعمل العسل.

4. النظرية اللغوية والمناقشة :

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

ستنقسم المناقشة اللغوية على قسمين الأول يفحص مدى أدبية النص أو علميته والقسم الثاني يبحث في وظائف اللغة حسب ياكوبسون والوظيفة المهيمنة.

4.1 مفهوم الأدبية (ن.ف.ص)

إن مفهوم الأدبية Literary "هو لفظ ولید النقد الحديث يُطلق على ما به يتحوّل الكلام من خطاب عادي إلى ممارسة فنية إبداعية (...) ومدار هذا العلم الافتراضي تحديد هوية الخطاب الأدبي في بنيته ووظيفته مما يُبرز النواميس المجردة التي تشترك فيها كل الآثار الأدبية"¹⁹، ولتمييز لغة الأدب من لغة العلم أو الأسلوب الأدبي من الأسلوب العلمي اعتمد سعد مصلوح على معادلة العالم الألماني أ. بوزيمان A. Busemann التي طبقها على نصوص من الأدب الألماني.²⁰

نسبة الفعل إلى الصفة =

عدد الأفعال

عدد الصفات

لخص مصلوح فكرة تمييز النص الأدبي من غيره من النصوص يتوقف على النسبة بين الكلمات المعبرة عن الحدث، "الأفعال" وبين الكلمات المعبرة عن الوصف، "الصفة" ويتم حساب هذه النسبة بإحصاء عدد كلمات النوع الأول "الأفعال" وتقسيمها على عدد كلمات النوع الثاني "الصفات" ثم إيجاد ناتج القسمة، ويتم استخدام هذه النتيجة في تحديد أدبية النص، فكلما ازدادت نسبة الأفعال إلى الصفات كان طابع اللغة المستخدمة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما نقصت القيمة كان الأسلوب أقرب إلى العلمي²¹، وستكون هذه المعادلة بمثابة معيارٍ للتفريق بين ما هو "أدبي" في العمل الأدبي، وبين ما هو تعبير عادي لا ينطوي على تلك السمة الجمالية.

ورمز مصلوح لمصطلح نسبة الفعل للصفة باللغة العربية "ن ف ص"،²² ونظراً لأن عمله كان الأول في اللغة العربية فقد وضع أسساً للمقياس تخص الفعل واستخدم الأفعال التي تدل على حدث وزمن واستبعد الأفعال التي تخصصت بالدلالة على زمن فقط كما في الأفعال الناقصة والجامدة وأفعال الشروع أو المقاربة وقد استبعدا من عملية الإحصاء.²³ أما ما يخص الصفات فقد استبعد الصفات التي تأتي صفة على شكل جمل أو شبه جملة لأن إعرابها هو تصوري وليس نحويّاً وشمل الإحصاء عنده الصفات الجامدة والمشتقة والاسم الموصول الواقع بعد المعرفة والمنسوب واسم الإشارة الواقع بعد المعرفة،²⁴ وسأعتمد الطريقة ذاتها مع النماذج القصصية المنتخبة.

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

إن النتيجة المتحصلة من "ن ف ص" ستكون " مؤشراً لقياس مدى انفعالية أو عقلانية اللغة المستخدمة في النصوص،²⁵ ووجد مصلوح أيضاً أنّ "ن ف ص" في الأعمال الأدبية مثل القصة والقصيدة والرواية والمسرحية تتميز بارتفاع نسبة إلى النصوص العلمية.²⁶

هذا المقياس سيتم اعتماده مع النماذج القصصية لأنها تحمل فكرة علمية -إلى حدّ ما- تتعلق بموضوع تلوث البحار والمحيطات وخطر ذلك على الكائنات البحرية وفكرة اختفاء الأزهار الذي يؤدي إلى اختفاء العسل ومن ثم اختفاء النحل. لذلك سيتم استخدام المقياس المذكور سابقاً وكشف إذا ما كانت النسبة تقترب من الأسلوب العلمي الذي يهدف إلى إيصال المعلومات فقط أم إلى الأسلوب الأدبي.

النص الأول: سيرينيا كانت النتيجة:

$$\text{ن ف ص} = \frac{62}{21} = 2,95\%$$

النص الثاني إنها زهرة واحدة، كانت النتيجة:

$$\text{ن ف ص} = \frac{65}{21} = 3,09\%$$

تشير النتائج إلى أن النصين ترتفع فيهما نسبة استخدام الأفعال إلى الصفات وتحقق فيهما فكرة الأدبية، فهما إذن ليسا نصّين علميين يناقشان موضوع التلوث واختفاء الأزهار وتضرر النحل، بل ينتميان إلى النصوص الأدبية التي تناقش بـ "أدبية" مسائل علمية رغم اشتغالها على أفكار تتميز بالعلمية، ولهذا يسعى النقد البيئي منهجاً من المناهج "البيئية" لأنه يضمّ دراسات بيئية استثنائية تكون مزيجاً بين العلوم الطبيعية والأدب.²⁷

4.2 نظرية الوظائف اللغوية حسب نظرية رومان ياكوبسون وتطبيقها على النصّين:

اعتماداً على نتيجة أدبية النصّين سأنتقل إلى الوظيفة اللغوية التي تناسب كل نص كما حدد ذلك ياكوبسون عندما تحدث عن اللغة ووظائفها، إذ تعدّ نظرية التواصل اللغوي من النظريات المهمة التي تم اكتشافها في العصر الحديث وقد أرسلت دعائم علم التواصل وفق الأنظمة اللسانية وذلك على أساس أنّ اللغة الإنسانية لها وظيفة أساسية تتمثل في التواصل وتقوم على ستة عناصر وست وظائف، وعندما درس ياكوبسون الوظيفة الشعرية دراسة لسانية أشار إلى أن هذه الوظائف "يجب أن تتجاوز حدود الشعر"²⁸، بمعنى أن شعرية النص غير خاصة بالشعر ويمكن تطبيقها على النصوص النثرية أيضاً ولهذا سأستخدم ذلك مع القصتين موضوع الدراسة.

حدّد ياكوبسون وظائف لسانية مختلفة لكنّه أضاف أنه سيكون من الصعب إيجاد رسائل تؤدي وظيفة واحدة فقط وتنوع الرسائل لا يعني احتكار وظيفة دون أخرى بل تتعلق البنية اللفظية لرسالة ما قبل كلّ شيء بالوظيفة المهيمنة²⁹، ويشير

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

المسدي إلى أن عملية التخاطب اللساني تكون تأليفاً ونتيجة لعدد من الوظائف مع بروز إحداها فتكون بنية الكلام مصطبغة بسمات الوظيفة الغالبة³⁰.

سيكون التركيز في هذا البحث على الوظيفة المرجعية التي يناسبها ضمير الغائب لأنها كانت المهيمنة في القصتين. وتسمى هذه الوظيفة أيضاً بالنمط الإرجاعي ووظيفتها إطلاق المعلومة³¹ أو تسمى بالوظيفة التعيينية التي ترتبط بالسياق ومهمتها أساسية، وهي تزويد المتلقي بالمعلومات الصحيحة وغالباً ما تكون في صيغ إخبارية³²، وإن هذه الوظيفة لا توجد إلا في إطار علاقتها بمرجع معين أي الواقع الذي يتناول الحديث أو المرسل اللغوية بغض النظر عن الانفعالات الشخصية الناجمة عن المرسل، ومن نماذجها التطبيقية مثلاً النبأ في النشرة الصحفية الذي يخضع لقاعدة ثلاثية هي الوضوح والاقتضاب والكثافة³³.

الوظيفة المهيمنة على النص الأول: سيرينيا هي الوظيفة المرجعية وذلك من خلال غلبة الأسلوب الخبري على النص بنسبة 92,64% في حين كان الأسلوب الإنشائي بنسبة 7,35% لذلك سيكون التركيز على الأسلوب الخبري فقط، وتم استخدام الاسم الظاهر في البداية ثم الانتقال إلى الضمير الغائب، وبلغ ذلك 55 مرة. ثم جاء ضمير المخاطب بثلاث مرات وضمير المتكلم بمرتين فقط.

الوظيفة المهيمنة على النص الثاني، إنها زهرة واحدة: هي الوظيفة المرجعية وجاءت الجمل الخبرية بنسبة 98,11% إلى الإنشائية التي حصلت على 1,38% فقط لذلك سيكون التركيز على الأسلوب الخبري فقط. وسيطر ضمير الغائب على النص بعدد مرات وصل إلى 65 مرة مع استخدام الاسم الظاهر للمرة أولاً ثم الانتقال للضمير الغائب.

عندما تحدّث ياكوبسون عن الجملة الخبرية وجملة الأمر ذكر أنّ جمل الأمر تختلف عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية فالخبرية تخضع لاختبار الصدق ولا يمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك³⁴، وهذا التمييز هو أحد موضوعات علم المعاني في البلاغة العربية.

فالخبر في البلاغة هو القول الذي يحتمل الصدق أو الكذب فمثلاً جملة: المطر يهطل، جملة خبرية يمكن أن تكون صادقة إذا كان المطر فعلاً يهطل أو تكون كاذبة إذا لم يكن هناك نزول للمطر³⁵، وأهم غرض للخبر هو إفادة المخاطب بمعلومة كانت غير معروفة لديه لذلك تسمى هذه الوظيفة في البلاغة بفائدة الخبر³⁶.

ومن الطرق الخاصة بتركيب جملة الخبر أن يكون الخبر من دون مؤكّدات ويكون خبراً ابتدائياً موجهاً لمخاطب خالي الذهن تماماً أو بمؤكّد واحد لزيادة التأكيد وتثبيت تحقق الخبر ويسمى بالخبر الطليقي وقد يأتي بمؤكّدين ويسمى خبراً إنكارياً لزيادة التأكيد إلى الدرجة القصوى³⁷.

يفهم مما سبق أن النص الذي يُطلق من دون مؤكّدات يهدف ضمناً إلى إرسال رسالة معينة بطريقة هادئة ومن دون أدنى شك بوصول هذه الرسالة بشكلها الابتدائي الأولي، ولكن إذا ما شعر مطلق الرسالة أنه بحاجة إلى التركيز على أمر ما فإنه سيلجأ إلى المؤكّدات كي يدفع أي درجة من درجات الشك في الموضوع كي تثبت فكرة الرسالة بتأكيداتها بالأدوات.

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

أما دور الوظيفة المهيمنة على النصين (الوظيفة المرجعية) في البناء اللغوي للنص، فقد جاءت كل الجمل بصيغ الخبر الابتدائي في قصة سيرينيا وهذا يتناسب مع إطلاق النبأ أو المعلومة للمرة الأولى ومن أمثلة ذلك: انتظرت أمها حتى تعود من عملها³⁸، نجمة تنكّرت بزي قوقعة ضخمة³⁹، فلاحظت شيئاً يتحرك بالقرب منها⁴⁰، صعدت إلى سطح البحر⁴¹، لمحت أكياساً بلاستيكية⁴².... إلخ.

وكما ذكر سابقاً فإن نسبة الجمل الخبرية في قصة سيرينيا بلغت 95,23%، وإنّ الضمير المستخدم الغالب في الجمل كان ضمير الغائب، بعد أن يتم ذكر الاسم أولاً ثم الاستغناء عنه بالضمير، ولهذا الاستخدام خاصية لغوية في النحو العربي كما ذكر سيبويه أن الإضمار يحدث بعد معرفتك " أن مَنْ يُحَدِّثُ قد عَرَفَ مَنْ تعني وما تعني وأَنْك تريدُ شيئاً يعلمه"⁴³ لذلك تمّ التعريف به أولاً ثم اللجوء إلى ما يشير إليه لأنّ المرجعية أصبحت واضحة وكذلك تخفيفاً للتكرار، مثال ذلك: نظرت سيرينيا إلى صديقاتها مجتمعات يتناولن وجبتهم⁴⁴، فالنون في يتناولن جاءت عوضاً عن الصديقات وكذلك في جملة: صعدت إلى سطح البحر⁴⁵، التي جاءت مباشرة بعد جملة: فلم تتحمل سيرينا البقاء معهن⁴⁶. إذ يتم استخدام الاسم أولاً وبعد الاطمئنان إلى وصول المعلومة يُستغنى عنه بالضمير.

كما ذكر سابقاً فإن الوظيفة المرجعية هي المهيمنة أيضاً على جمل النص الثاني: إنها زهرة واحدة، وجاءت باستخدام صيغة الخبر الابتدائي (من دون مؤكّدت) أو الخبر الطلبي (باستخدام مؤكّد واحد) لتقوية المعنى وبلغت الجمل الخبرية نسبة كبيرة في النص وصلت إلى بنسبة 98,11% باستخدام ضمير الغائب. ومن أمثلة الجمل التي جاءت من دون مؤكّدت وباستخدام ضمير الغائب: أخذت العصافير تغرّد على أغصان الأشجار، وتغني ألحاناً⁴⁷، وجملة خرجت جميع الحيوانات من بيوتها بعد نوم طويل واستمتعت بدفء الشمس⁴⁸، فتمّ ذكر العصافير صراحة ثم العدول إلى الضمير في تغرد.

وهذا هو دور الوظيفة المرجعية التي تهدف إلى إطلاق المعلومة⁴⁹، فأطلقت المعلومة بطريقة مختصرة ومن دون مؤكّدت لعقل خالي الذهن كي يتم إيصال المعلومة بتدرج وجاءت متلائمة مع كل الأفعال التي مارسها بقرة البحر ومارستها باقي الحيوانات في الغابة في قصة الزهرة.

أما ما ورد من جمل خبرية مؤكّدة بمؤكّد واحد فكانت ثلاث جمل في قصة سيرينيا وجاء التوكيد بالأداة أن، وإن، والسين: مثال ذلك: تذكّرت سيرينيا أنّها لا تملك زياً تنكرياً⁵⁰، ويفيد هذا الحرف (أنّ) التأكيد⁵¹، واستُخدم هنا لأن هذه الجملة كانت مفصلية في حركة النص وتغيّر أحداثاً لأنها بعد أن تذكّرت عدم امتلاكها للفرستان تسارعت الأحداث لتعمل لنفسها فستاناً من أكياس النايلون التي كادت أن تخنقها. فكان التأكيد أولى من الجملة الخالية منه. أما جملة: إنّها ملابس حورية البحر⁵²، فجاء التوكيد فيها باستخدام الأداة (إنّ) التي تفيد التوكيد وتأتي في بداية الكلام، وقد لخص السامرائي الآراء فيها بأنّها تأتي لمعان عدة أشهرها التوكيد ونقل عن آخرين أنّها تقوم مقام تكرير الجملة مرتين⁵³، وإنما جاءت مع هذه الجملة لأن سيرينيا قد حصلت على ما كانت تطمح إليه ومن شدّة دهشتها صرخت فرحاً: إنّها ملابس حورية الماء. أما جملة: سأصنع زياً تنكرياً منها⁵⁴، فقد وردت مع مؤكّد واحد وهو "السين" الذي يعدّ أداة تفيد التوكيد مع إفادتها لمعنى المستقبل، وهي كما أشار السامرائي إلى وظيفتها الدلالية واللغوية، أنّها من الأحرف المختصة بالفعل المضارع وهي منقوصة من سوف وهذا يشير إلى

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

دلالة بتقليل الحرف على تقريب الفعل⁵⁵، والإفادة اللغوية هنا تشير إلى تأكيد الفعل في المستقبل القريب، وهذا ما حصل مع سيرينيا التي كانت حزينة بسبب عدم امتلاكها للملابس التنكرية لكنها بعد أن شاهدت الأكياس وهي تطفو على الماء قررت وبسرعة أن تصنع ثوباً تنكرياً لها. إن اللجوء إلى التأكيد جاء متلائماً مع معنى الجملة لأن الجمل المؤكدة حملت تحولات مهمة في مسار النص فتدكر سيرينيا لعدم امتلاكها للملابس التنكرية كان أساساً لتفكيرها بطريقة للخروج من هذا المأزق فجاء التأكيد الثاني مع الفعل (سأصنع) الذي كان من الأكياس البلاستيكية والتي تعدّ أهم سبب للتلوث في البحار والمحيطات، وفي القصة كانت سبب المشكلة والوصول إلى حالة الاختناق. ومن ثم جاء التأكيد الثالث بهدية أمها واستخدام المؤكد إنها ملابس حورية البحر ينتهي المشهد بتأكيد وجود ملابس مناسبة لحضور الحفلة وهي ملابس حورية البحر.

أما الجمل الخبرية المؤكدة بمؤكد واحد في قصة الزهرة فكانت جملة واحدة فقط لكنها تكررت أربع مرات: إنها زهرة واحدة، بدءاً من العنوان وانتقالاً إلى حادثة قطف الزهرة، وهذا يشير إضافة إلى معنى التأكيد بالأداة "إنّ" إلى تكرار المعلومة التي قام النص عليها، وهي عدم المبالاة وتقدير العواقب لأنّ كل من يقطف زهرة يقول هذه الجملة ولكن بتكرار الفعل انتهت الأزهار وانتهى معها العسل ومن ثم أصبح وجود النحل مهدداً. التوكيد في الجملة السابقة ورد بطريقتين الأولى باستخدام الأداة (إنّ) التي تتناسب مع واقع قول الجملة لكلّ من يأخذ وردة من دون تفكير ويؤكد إنها زهرة "أي فقط زهرة واحدة لا غير، ولن تؤثر، وجاء التأكيد الثاني بطريقة تكرار الجملة نفسها أربع مرات في إشارة إلى جوهر المشكلة وهو عدم التفكير في عواقب الأمور.

يُستنتج مما سبق أن الوظيفة المرجعية كانت هي المهيمنة على النص ووردت بجمل خبرية غالبية مع هيمنة الضمير الغائب وهذا يتوافق مع الوظيفة التي ذكرها ياكوبسون.

5. مبادئ نظرية لورانس بيول وتطبيقها على النصين:

تشير كيمبرلي إلى إمكانية قراءة أدب الطفل وفق النظريات النقدية المختلفة مادام هو نوع من الكتابة الأدبية فيمكن قراءته وفق المنهج النفسي أو المنهج التاريخي أو وفق المناهج الحديثة كنظرية ما بعد الاستعمار أو المناهج التي تركز على الجنس والنوع أو نظريات التلقي⁵⁶، ووفقاً لهذا الرأي فإن الشعور بالبيئة وبمكوناتها والحس البيئي بحسب ما ينادي به النقد البيئي يمكن أن يكون حاضراً في قصص الأطفال وسيستتبع هذا البحث الفكرة البيئية التي تجسّدت في اللغة المستخدمة طبقاً للوظائف المذكورة سابقاً وكيفية تلمسها في القصتين موضوع الدراسة.

قبل البدء بمناقشة النصين وفق الشروط البيئية أودّ الإشارة إلى أنّ النصين جاءا على لسان الحيوانات بشكل كامل ولا وجود للبشر فيهما إلا في نصّ سيرينيا الذي يفهم منه ضمناً أنّ من رمى الأكياس في البحر هو الإنسان، ولكن الإنسان لا يحضر في النص. أمّا في النص الثاني الزهرة فقد جاءت الأحداث كلها على لسان الحيوانات بما فيها فعل قطف الأزهار وإصدار الأوامر بالعقوبة. في الوقت الذي يشير فيه النقد البيئي غالباً إلى أفعال بشرية تؤدي في الأغلب إلى تدمير البيئة وما عليها من كائنات ونباتات، فإنّ استخدام الحيوانات في قصص الأطفال له خصوصية، إذ تشير الدراسات إلى أن الأطفال يتعاطفون مع شخصيات القصص تعاطفاً شديداً، وخاصة مع الشخصيات التي تعاني وتكابد بل ويدفعهم تعاطفهم هذا إلى القلق أو إطلاق صيحات الاستغاثة أو البكاء حين تتعرّض شخصية القصة لموقف محزن⁵⁷، بل وإن هذا اللون من القصص

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

يجد الأطفال فيه عالماً جديداً وغريباً ويربطون بين صفات وسلوك أبطاله وبين صفات وسلوك أصدقائهم⁵⁸. والملاحظة هنا أن البحث سيركز على الوعي البيئي الموجود في النصين على الرغم من أن النصين وردا على لسان الحيوان وأن بعض الأضرار كانت بفعل الحيوانات ولكنه يستخدم الحيوان استخداماً فنياً لجذب الأطفال، أما الرسالة فتكون موجهة إلى القارئ الطفل/ الإنسان وتعمل عمل المحرك للوعي البيئي عنده.

يشترط بويل للنص البيئي أن يتضمن أربعة شروط:

1/ أن تكون البيئة غير البشرية موجودة ليس بوصفها أداة إيطارية فقط بل هي حاضرة لتشير إلى أن التاريخ البشري متعلق بالتاريخ الطبيعي⁵⁹.

تشير النقطة الأولى إلى وجود البيئة غير البشرية ليس بوصفها إطاراً للأحداث بل هناك وعي باستخدامها كشيء نابض بالحركة والحياة وأن التاريخ البشري الإنساني متعلق بالتاريخ الطبيعي ومتأثر به.

في القصة الأولى (سيرينيا): تم ذكر المكان المتمثل بالبحر ليس بوصفه فقط المكان الطبيعي لتواجد بقرة البحر، بل هو البيئة الطبيعية لهذا الكائن التي تمنحه السعادة وتجعله يفكر للاحتفال بيوم البيئة: قرب الساحل، حيث المياه الدافئة، كانت أبقار البحر الصغيرة تستعد للاحتفال بيوم البيئة⁶⁰، فالنص تعامل مع الحيوانات كما يتعامل مع البشر وهذه القصة من النوع الذي يتجاوز العالم الواقعي فقام الحيوان هنا بدور البشر⁶¹، وتم عرض الفكرة والحوار والمشكلة على لسان بقرة البحر فكان البحر مكانها الطبيعي فضلاً عن تلميح للاستعداد للاحتفال بيوم البيئة وأن أم سيرينا تعمل في شرطة إرشاد القوارب في إشارة إلى تداخل دور البشر مع الحيوان فالبحر هو المكان الطبيعي المناسب لهذه الكائنات للحياة الطبيعية ولأن سيرينا شاهدت الأكياس البلاستيكية وظنت خطأ إمكانية عمل فستان لها وصل الحال بها إلى الاختناق لولا تدخل رجال الانقاذ الذين كانوا من نفس صنف هذا الكائن. فهذا المكان هو الذي يمنحها السعادة والأمان وهو الذي كاد أن يهلكها. وهنا يمكن تلمس إشارة عن أن التاريخ البشري متعلق بالتاريخ الطبيعي وما يفعله الإنسان سيغير من التاريخ الطبيعي للبيئة والمكان وما يحتويه من كائنات. ولأن سيرينا استخدمت الأكياس التي رماها الإنسان فحصلت تغيرات في البيئة بموت كائنات أو مرضها أو انقراضها فإن ذلك سيؤثر على التاريخ الإنساني أيضاً لأن البيئة تتكون من مجموعة من العناصر وينسب متوازنة. فضلاً عن هذا فإن رمي هذه المواد في غير مكانها يدمر البيئة وبالعودة إلى الدراسات العلمية التي ناقشت التلوث فقد أشارت دراسة لاشين إلى خطورة النفايات البلاستيكية على البيئة البحرية وأن ما تسيل من نفايات إلى هذه البيئة يقترب من 604 مليون طن وهذا يسبب تلوثاً خطيراً على البيئة البحرية بل ويؤدي إلى وفاة الملايين من الأحياء البحرية سنوياً بسبب ابتلاعها للمواد الملوثة أو تعلقها في أجسادها⁶². ويبين هذا أن التاريخ البشري مرتبط بالتاريخ الطبيعي.

أما في قصة الزهرة: فقد جاءت الغاية ليس بوصفها مكاناً فقط لاحتواء الحيوانات بل كانت سبباً لسعادتهم وخاصة في فصل الربيع وسبباً في ألمهم بعد أن تم الاعتداء على الأزهار وقطفها بشكل عشوائي غير منظم مما أثر على النحل وانتاج العسل: وفي صباح أحد الأيام حضرت الحيوانات كعادتها لتأخذ العسل ولكنها حزنّت كثيراً لأنها لم تجد عسلاً فتساءلت لماذا لا يوجد عسل؟⁶³، وكما في النص الأول فقد تم استخدام الحيوان هنا كمتسبب بالأذى ولكن الإشارة الضمنية كانت

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

الإنسان وما استخدام الحيوان إلا جزء من فنيات الكتابة للطفل فالتاريخ البشري مرتبط بتغيرات التاريخ الطبيعي وما يحصل للأزهار سيؤثر على النحل وبدوره سيؤثر على العسل وعلى عملية التلقيح الغذائي برمتها.

2/ أن لا يفهم من النص أنّ الاهتمامات البشرية هي الاهتمامات الشرعية الوحيدة فقط في النص⁶⁴.

يفهم من هذه النقطة أن يتبنّى النص موقفاً أخلاقياً من خلال خلق تمثيلات نصية داخل العمل الأدبي تشير إلى أنّ الإنسان هو جزء من البيئة وأن لا يكون في النص تركيز على تحقيق مشاريع الإنسان فقط التي تحقق منفعة بل يجب أن يظهر النص تفاعلاً بين الاهتمامات البشرية وغير البشرية فيظهر مثلاً اهتماماً بالحيوان أو النبات أو البيئة بشكل عام.

في القصة الأولى: (سيرينيا)، أظهر النص اهتماماً ببقر البحر كمكوّن حيواني فضلاً عن رسالة تهدف إلى الاهتمام بالبحار والمحيطات كمكوّن مكاني، بل وحمل النص رسالة أخلاقية من خلال النقد الضمني لدور الإنسان الفعّال السلبي في تلوث المياه مما كاد أن يؤدي بحياة الكائنات الحيوانية الممثلة ببقر البحر، لولا حضور رجال الانقاذ وتحرير سيرينا من الاختناق من الأكياس. بمعنى هناك فاعلٌ خفي هو من قام بملء الأكياس بالقاذورات ورميها في البحار وهذا الفعل من دون شكّ هو فعل إنساني، والرسالة هنا توجّه إدانة صريحة للإنسان وإن اهتمامات النص كانت كاشفة لأعمال الإنسان التخريبية من خلال التركيز على رمي النفايات داخل البحر، وتشير دراسة علمية إلى أن رمي الأكياس البلاستيكية مثلاً، يشكل خطراً كبيراً على البيئة البحرية لأن الأكياس البلاستيكية تأخذ سنة تقريباً لكي تتحلّل، ولكنها لا تتحلّل بالكامل لذلك تعدّ من أخطر أنواع التلوث البلاستيكي وتقوم بقتل الكائنات البحرية⁶⁵.

في القصة الثانية: الزهرة، لم يكن الاهتمام البشري هو الوحيد في النص لأنّ تغير البيئة النباتية واستغلالها عشوائياً يشير ضمناً إلى الخراب البيئي ويتسبب بموت حيوانات وكائنات أخرى بل وتدمير منظومة الغذاء كاملة للإنسان وللحيوان معاً، وحمل النص وعياً ورسالة بإيجاد قانون وعقوبة لمن يخالف ويقوم بإيذاء الطبيعة في صورة تهدف إلى خلق تلاحم في المشهد الطبيعي للبيئة المتمثل بمشاركة إنسانية مع الحيوان والنبات والمكان السليم الآمن وتعبّر عن الأمل بالمستقبل، وما عودة الأزهار إلا إشارة إلى استمرارية دورة الحياة في الطبيعة بكل مكوناتها، وبذلك فإن النص لا يهدف إلى ترسيخ الحق البشري في الأرض فقط بل يتضمن رسالة مشاركة وتعايش بين كل المكونات.

3/ أن تكون مسؤولية البشر تجاه البيئة هي جزء من توجهات النص الأخلاقية⁶⁶.

من شروط بيول أن تكون هناك رسالة هادفة في النص تشير إلى توجهات أخلاقية من الإنسان تجاه بيئته وما تحويه وأن الشعور بالمسؤولية الأخلاقية تجاه البيئة يكون من رسائل النص.

في القصة الأولى، سيرينيا: أظهر النص ما عاناه بقر البحر المعروف بوداعته من ألم ومشاكل بسبب المخلفات البلاستيكية فحمل النص رسالة أخلاقية ذات شقين؛ الأول مسؤولية أخلاقية تشير ضمناً إلى الفاعل وهو الإنسان والشق الثاني كان التعاطف مع سيرينا من خلال عرض صور الألم والمعاناة التي لحقت بها.

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

في القصة الثانية، الزهرة: تتجلى الرسالة الأخلاقية في النص من خلال توجيه رسالة الاهتمام وترك عدم المبالاة بالطبيعة وقطف الأزهار التي هي غذاء أساسي للنحل والذي بدوره يعود بفائدة إلى الإنسان. فتكون رسالة النص الأخلاقية التفكير بالطبيعة والانتباه إلى أن قطف الورد يمكن أن يؤدي إلى هلاك الكوكب جوعاً إذا استمر دون إحساس بالبيئة.

4/ أن يكون موجوداً في النص كحد أدنى إحساس في أن البيئة شيء متغير وليست ثابتة⁶⁷.

تشير هذه النقطة إلى أن يحمل النص البيئي فكرة أن البيئة ليست ثابتة بل هي قابلة للتغير لذلك على الإنسان أن يكون واعياً لأفعاله كي لا يؤدي إلى تغيرات كارثية في البيئة.

في القصة الأولى، سيرينيا: تعرض البحر إلى ما يُصطلح عليه بالتلوث وهو مسبب أساسي في تغير طبيعة البيئة فرمى الإنسان الأكياس مما أدى إلى تغير في صلاحية البيئة المائية وتحويلها من بيئة ملائمة للعيش إلى بيئة غير صالحة للعيش، فضلاً عن تحول في حالة الحيوان الصحية التي منعت من ممارسة الأفعال الطبيعية بالسباحة والتنقل وأوصلته إلى الشعور بالموت اختناقاً. فالبيئتان المكانية والحيوانية قد تغيرتا بسبب التلوث كما ذكر في الجمل السابقة مع وجود إشارة إلى استمرارية التأثيرات السلبية على المكان، فبعد أن جاءت فرق الانقراض وأنقذت سيرينيا إلا أن الأكياس ستبقى موجودة بوصفها ملوثاً للبحر وستكون هناك ضحية أخرى وأخرى. وتجدر الإشارة هنا إلى أن حيوان بقر البحر يعاني من خطر الانقراض وفي موضوع خاص أجرته قناة الجزيرة أشار التقرير إلى أن هذه الكائنات تعيش منذ آلاف السنين في السواحل القطرية وهي مهددة بالانقراض لأسباب تتعلق بأفعال بشرية مثل التلوث والارتطام بقوارب الصيد أو الاختناق بشباك الصيادين⁶⁸. ويأتي النص ليؤكد دور الأدب في إثارة الوعي البيئي والتوجه إلى الأطفال به لأن بناء المجتمع يبدأ من بناء الطفل.

في القصة الثانية، الزهرة: أثرت فكرة الخطر الذي يعانيه النحل إذا ما اختفت الأزهار فقد أشارت إحدى الدراسات إلى أهمية النحل بوصفه ملقحاً للنباتات بواسطة تنقله من زهرة إلى أخرى، وأنه مسؤول عن إنتاج ثلث الغذاء في العالم⁶⁹، وفي محاضرة ألقها البروفيسورة (Maria Spivak) المختصة بالنحل أكدت بواسطة استخدامها لتقنية الصورة ماذا يحصل للعالم إذا اختفى النحل إذ عرضت صورة لمحل ممتلئ بالمنتجات الزراعية في حالة وجود النحل ثم انتقلت مباشرة إلى صورة أخرى تظهر المكان مع ثلث الإنتاج فقط إذا اختفى النحل⁷⁰. ومن خلال هذا التصوير لما حصل من انقطاع للعسل بسبب قطف مستمر للأزهار يتم بناء الوعي البيئي عند الطفل وتحسس ملامح ما سيحدث إذا استمرت الأفعال العشوائية غير المدروسة.

مما سبق يتضح وجود الوعي البيئي في النصين موضوع الدراسة وتطابقهما مع الشروط التي وضعها بويل كما تم ذكره.

6. النتائج

- أظهرت القصتان موضوع الدراسة احتواءهما على موضوعين علميين مطروحين بطريقة أدبية وفق مقياس الأدبية.

الوظيفة المرجعية في أدب الأطفال

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

- الوظيفة المهيمنة على النصين حسب الوظائف اللغوية التي أشار إليها ياكوبسون كانت الوظيفة المرجعية مع سيطرة الضمير الغائب على الجمل.
- أظهر النصان استخداماً كبيراً للجمل الخبرية بصيغة الخبر الإبتدائي مع الانتقال إلى الخبر المؤكد عند وجود حاجة معنوية لترسيخ المعلومة وتأكيداها.
- تضمن النصان وعياً بيئياً من خلال تناولهما لموضوعين موجودين حقيقة على أرض الواقع، تجسد في النص الأول بالمخاطر المترتبة على حيوان بقرة البحر وخطر انقراضها، في حين أشار الثاني إلى مخاطر اختفاء النحل.
- أرسل النصان رسالة أخلاقية تفيد بأن الإنسان مسؤول بالحفاظ على البيئة من الدمار بتوظيف خاصية الكلام على لسان الحيوانات في قصة الطفل.
- أظهرت القصتان إمكانية استيعاب أدب الأطفال لموضوعات مختلفة تحمل رسائل تسهم في بناء شخصية الطفل ووعيه.

الهوامش:

هوامش وإحالات المقال

- ¹ ينظر: ديوان الأساطير، سؤمر وأكاد وأشور، الكتاب الأول، أعطني، أعطني ماء القلب، أناشيد الحب السومرية، (دون مؤلف)، نقله إلى العربية وعلق عليه: قاسم الشواف، قدم له وأشرف عليه: أدونيس، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص.8.
- ² ينظر: س. نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، 1945، ص.311.
- ³ ينظر: نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، ص.312.
- ⁴ ينظر: م. حمد وص. محمد، "عمق الشعور بالطبيعة في الشعر المهجري"، مجلة الفلزم للدراسات التربوية والنفسية واللغوية، السودان، ع. 20، يونيو، ص.56-57.
- ⁵ ينظر: م. حسن، الشعر العربي في المهجر، محمد عبد الغني حسن، مكتبة الخانجي، القاهرة 1955.
- ⁶ م. عوض وح. شحاته، البيئة.. ومشكلات التلوث، دار طبية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2017، ص. 63.
- ⁷ ينظر: عوض وشحاته، البيئة.. ومشكلات التلوث، ص. 12-15.
- ⁸ ب. هنت، مقدمة في أدب الطفل، تر: إ. كمال، مراجعة: ط. الشايب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2009، ص.9.
- ⁹ ينظر: ك. حسين، مقدمة في أدب الطفل، جامعة القاهرة، 2002، ص. 34.
- ¹⁰ ينظر: حسين، مقدمة في أدب الطفل، ص. 36.
- ¹¹ ه. الهبي، ثقافة الأطفال، عالم المعرفة، الكويت، مارس، 1988، ص. 171.
- ¹² ينظر: ب. محمد، "أنسنة الحيوان في مسرح الأطفال عند فوزي خضر"، مجلة كلية الآداب، قنا، مج 32، ع58، يناير 2023، ص. 366.
- ¹³ ينظر: ب. مارلاند، النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات، إعداد وترجمة: ن. الجبيلي، من كتاب: مقدمة في النقد البيئي، دار شريار، البصرة، العراق، ط1، 2021، ص. 9.
- ¹⁴ أ. الرمادي وم. العدواني، النقد البيئي، مفاهيم وتطبيقات، مؤسسة الانتشار العربي، الشارقة، الإمارات، ط1، 2022، ص. 9.
- ¹⁵ ينظر: ج. توشيتش، النقد البيئي "دراسة بينية في الأدب والبيئة" تر: س. عبدالعزيز، مجلة فصول، المجلد 2/26، ع 102، شتاء 2018، ص. 328.
- ¹⁶ ينظر: ز. جبور، الشعر العربي المعاصر من منظور إيكولوجي، جزوس برس ناشرون، طرابلس، لبنان، ط1، 2022، ص. 13-14.
- ¹⁷ نظر: الرمادي العدواني، النقد البيئي، مفاهيم وتطبيقات، ص. 13.
- ¹⁸ ينظر: مارلاند، النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات، ص. 12-13.

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

- ¹⁹ ع. المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط3، ص. 132.
- ²⁰ ينظر: س. مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992، ص. 73.
- ²¹ ينظر: مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص. 47.
- ²² مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص. 77.
- ²³ ينظر: مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص. 78.
- ²⁴ ينظر: مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص. 78.
- ²⁵ ينظر: مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص. 79-80.
- ²⁶ ينظر: مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص. 80.
- ²⁷ ينظر: توشيتش، "النقد البيئي" دراسة بيئية في الأدب والبيئة" ص. 328.
- ²⁸ ر. ياكوبسون، قضايا الشعرية، تر: م. الولي وم. خنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص. 32.
- ²⁹ ينظر: ياكوبسون، قضايا الشعرية، ص. 28.
- ³⁰ ينظر: المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص. 158.
- ³¹ ينظر: د. تشاندلر، أسس السيميائية، تر: ط. وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص. 311.
- ³² ينظر: س. عطية، "وظائف اللسان البشري ونظرية التواصل اللغوي عند رومان جاكوبسون"، مجلة أفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية ع2، أغسطس 2024، بنغازي ليبيا، ص. 309.
- ³³ ينظر: ف. صادق، "التواصل اللغوي ووظائف عملية الاتصال في ضوء اللسانيات الحديثة"، مجلة الأثر، ع28، جوان، 2017، ص. 58-59.
- ³⁴ ينظر: ياكوبسون، قضايا الشعرية، ص. 29.
- ³⁵ ينظر: ب. أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1999، ص. 53.
- ³⁶ ينظر: أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، ج1، ص. 54.
- ³⁷ ينظر: أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، ج1، ص. 67.
- ³⁸ ش. الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، رسوم: ش. كاسدورف، متاحف قطر، الدوحة، 2022، ص. 2.
- ³⁹ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 4.
- ⁴⁰ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 7.
- ⁴¹ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 5.
- ⁴² الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 5.
- ⁴³ سيبيوه، كتاب سيبيوه، ج2، مكتبة الخائجي، القاهرة، ط3، ص. 6.
- ⁴⁴ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 4.
- ⁴⁵ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 5.
- ⁴⁶ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 4.
- ⁴⁷ ه. الشاعر، إنها زهرة واحدة، رسوم: عماد يونس، دار المنهل ناشرون، 2014، ص. 2.
- ⁴⁸ الشاعر، إنها زهرة واحدة، ص. 3.
- ⁴⁹ ينظر: تشاندلر، أسس السيميائية، ص. 311.
- ⁵⁰ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 2.
- ⁵¹ ف. السامرائي، معاني النحو، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص. 293.
- ⁵² الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 10.
- ⁵³ السامرائي، معاني النحو، ج1، ص. 286.
- ⁵⁴ الزيارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص. 5.
- ⁵⁵ السامرائي، معاني النحو، ج4، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ص. 26.
- ⁵⁶ ينظر: ك. رينولد، مقدمة قصيرة جداً، أدب الأطفال، 2014، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة مصر، ط1، 2014، ص. 40 وما بعدها.

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

- ⁵⁷ ينظر: ه. الهيبي، أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. 142.
- ⁵⁸ ينظر: الهيبي، أدب الأطفال فلسفته فنونه، وسائطه، ص. 148-149.
- ⁵⁹ Buell, L., *The environmental imagination : Thoreau, nature writing and the formation of American culture*. Cambridge, Mass.: Belknap Press of Harvard Univ, (1995) p.7-8.
- ⁶⁰ الزبارة، حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا، ص.2.
- ⁶¹ ينظر: الهيبي، ثقافة الأطفال، ص.180.
- ⁶² ينظر: م. لاشين، " التّشريع الدّولي لمكافحة التلّوث البلاستيكي، نَحْو صَكِّ دَوْلِيٍّ مُلْزِمٍ قانوناً"، مجلة البحوث الفقهية والقانونية، ع. 49، مصر، أبريل 2025، ص. 519-518.
- ⁶³ الشاعر، إنها زهرة واحدة، ص. 7.
- ⁶⁴ Buell, 1995, p.7-8 (Buell, L., *The environmental imagination : Thoreau, nature writing and the formation of American culture*. Cambridge, Mass. : Belknap Press of Harvard Univ, (1995) p.7-8.
- ⁶⁵ ينظر: د. عبدالمجيد، " الجِماية التّشريعِيّة للبيئة من النّفايات البلاستيكيّة"، ع 37 ج 2 / 2022 أبريل/يوليو، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، مصر، ص. 440-439.
- ⁶⁶ Buell, 1995, p.7-8 (Buell, L., *The environmental imagination : Thoreau, nature writing and the formation of American culture*. Cambridge, Mass. : Belknap Press of Harvard Univ, (1995) p.7-8.
- ⁶⁷ Buell, 1995, p.7-8 (Buell, L., *The environmental imagination : Thoreau, nature writing and the formation of American culture*. Cambridge, Mass. : Belknap Press of Harvard Univ, (1995) p.7-8.
- ⁶⁸ <https://www.aljazeera.net/misc/2022/7/30/%D9%84%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%AF>
- شوهدي بتاريخ 2025/00/00
- ⁶⁹ ينظر: أ. عويس، "الذبابة الطفيلية (الزومبي) خطر جديد يهدد نحل العسل"، مجلة النحلة العربية، مج 1، ع 1، 2025، مصر.
- ⁷⁰ https://www.ted.com/talks/marla_spivak_why_bees_are_disappearing
- شوهدي بتاريخ 2025/00/00

قائمة المراجع:

1. أمين، ب. *البلاغة العربية في نونها الجديد*، بيروت، دار العلم للملايين، ط 6، 1999.
2. تشاندلر، د. *أسس السيميائية*، تر: ط. وهبة، ط. بيروت، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، 2008.
3. توشيتش، ج. "النقد البيئي، دراسة بيئية في الأدب والبيئة"، تر: س. عبدالعزيز، مجلة فصول، مج 2/26، العدد 102، شتاء 2018، صص. 336-328.
4. جُبُور، ز. *الشعر العربي المعاصر من منظور إيكولوجي*، لبنان، جروس برس ناشرون، 2022.
5. حسن، م. *الشعر العربي في المهجر*، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955.
6. حسين، ك. مقدمة في أدب الطفل، جامعة القاهرة، 2002.

تحليل الخصائص اللغوية البيئية في قصتي: سيرينيا وإنها زهرة واحدة د. نجود الربيعي

7. حمّد، م. ومحمد، ص. "عمق الشّعور بالطبيعة في الشّعْر المِهْجَرِي"، مجلة القُلُوم للدراسات التربوية والتّفسّية واللغوية، العدد 20، يونيو 2023، صص. 58-49.
8. الرمادي، أ.، والعدواني، م. *النّقد البيئي، مفاهيم وتطبيقات، الشّارقة، الإمارات، مؤسّسة الانتشار العربي*، 2022.
9. رينولدز، ك. مقدمة قصيرة جداً، *أدب الأطفال*، كيمبرلي، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2014.
10. زيان، ل. "عمليّة التّواصل اللّغوي عند رومان جاكوبسون"، *المجلة العربيّة للعلوم ونشر الأبحاث*، مج 2، ع 1، مارس 2016، صص 89-102.
11. الزبارة، شيخة. *حكاية بقرة البحر الصغيرة سيرينيا*، رسوم: ش. كاسدورف، الدوحة، متاحف قطر، 2022.
12. السامرائي، ف. *معاني النحو*، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000.
13. سيبيويه، ع. *كتاب سيبيويه*، القاهرة، ط3 مكتبة الخانجي، 1988.
14. الشاعر، ه. *إنها زهرة واحدة*، رسوم: ع. يونس، دار المهمل ناشرون، 2014.
15. صادق، ف. "التواصل اللغوي ووظائف عملية الاتصال في ضوء اللسانيات الحديثة"، *مجلة الأثر*، ع 28، جوان، 2017، صص. 51-60.
16. عبدالمجيد، د. "الحماية التشريعية للبيئة من النفايات البلاستيكية" *مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، مصر*، ع 37، 2 أبريل/يوليو، 2022، صص. 434-530.
17. عطية، س. "وظائف اللسان البشري ونظرية التواصل اللغوي عند رومان جاكوبسون"، *مجلة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية*، بنغازي، ليبيا، ع 2، أغسطس 2024، صص. 296-312.
18. عوض، م. وشحاته، ح. *البيئة.. ومشكلات التلوث*، القاهرة، مصر، دار طبينة للنشر والتوزيع، 2017.
19. عويس، أ. "الذباية الطفيلية (الزومي) خطر جديد يهدد نحل العسل"، *مجلة النحلة العربية*، مصر، مج 1، ع 1، 2025.
20. لاشين، م. "التشريع الدولي لمكافحة التلوث البلاستيكي، نحو صكّ دولي ملزم قانوناً"، *مجلة البحوث الفقهيّة والقانونية*، مصر، ع 49، أبريل 2025، صص. 505-582.
21. مارلاند، ب. *مقدمة في النقد البيئي ضمن كتاب: النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات، إعداد وتر: ن، الجبيلي، البصرة، العراق، دار شهريار*، 2021.
22. محمد، ب. "أنسنة الحيوان في مسرح الأطفال عند فوزي خضر"، *مجلة كلية الآداب، قنا* مج 32، ع 58، يناير 2023، صص. 359-416.
23. المسدي، ع. *الأسلوبية والأسلوب*، ليبيا، الدار العربية للكتاب ط3.
24. مصلوح، س. *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية*، القاهرة، عالم الكتب، 1992.
25. أبو معال، ع. *أدب الأطفال دراسة وتطبيق*، عمّان الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1988.
26. نوفل، س. *شعر الطبيعة في الأدب العربي*، القاهرة، مطبعة مصر، 1945.
27. هنت، ب. *مقدمة في أدب الطفل*، تر: إ. كمال، مراجعة: ط. الشايب، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2009.
28. الهيتي، ه. *ثقافة الأطفال*، الكويت، عالم المعرفة، مارس 1988.
29. الهيتي، ه. *أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائطه*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت.

30. ياكوبسون، ر. قضايا الشعرية، تر: م. الولي وم. حنون. الدار البيضاء، المغرب، دار توفيق للنشر، 2000..

31. (دون مؤلف)، ديوان الاساطير، سومرواكاد وأشور، الكتاب الأول، أعطني، أعطني ماء القلب، أناشيد الحب السومرية، نقله إلى العربية وعلق عليه: ق. الشواف، قدّم له وأشرف عليه: أدونيس، بيروت، لبنان، دار الساقي، 1996.

المراجع الأجنبية:

Buell, L., (1995). *The environmental imagination: Thoreau, nature writing and the formation of American culture*. Cambridge, Mass Belknap Press of Harvard Univ.